التنويم المغناطيسي

(تابع لما في الجزء السابق)

وكان في بوزنسي من بلاد البلجيك واحدٌ من خرّيجي مسمر يقال لهُ المركيز پويزيجُور وكان يتعاطى المعالجة بالمغناطيسية الحيوانية على نحو ما كان يفعل استاذهُ فلبث مستمرًّا على عملهِ بعد انقطاع مسمر عن العمل. وبينما كان يجري امتحاناتهِ على المرضى ظهر لهُ ان للمغناطيسية الحيوانية خاصيةً لم تكن معروفةً من قبل وهي انهُ وجد بعض الذين يمغنطهم كان يعرض لهم نوعٌ من السبات فيتوقف فيهم الشعور الظاهر وتبطل الحركات الارادية لكن تبقى القوى الباطنة مستيقظة بل يشتدّ تنبهها كثيراً الى حدّ أن تستغني عن الحواسّ الظاهرة وتدرك المغيَّبات . وهذا ما سمي بالتنويم المغناطيسي ويسمى ايضاً بالتنويم الصناعي والسبات العصبي

واذ ذاك عمد الى شجرةٍ قديمة من النوع المسمى بالدردار كانت في وسط البلدة فمغنطها وعلّق باغصانها حبالاً تنقل القوة المغناطيسية ووضع حول الشجرة مقاعد مستديرة كان يُجلِس المرضى عليها فيأخذ كلٌّ منهم بطرف واحدٍ من تلك الحبال ويجعلهُ على موضع دآئهِ يستشفي بهِ . ثم يعرض على مرضاهُ ان ينوّم من شآء منهم وكان ينوّمهم بلمس يدهِ او اللمس بطرف مخصرة حديدية فكان يحدث عن هذا التنويم نفس التأثير الذي يحدث عن الذرائع السابقة

ومن ذلك الحين انتشر امر المغناطيسية الحيوانية وكثر متعاطوه

حتى ان بعضهم اتخذوا لها اماكن خاصّة كانوا يعالجون فيها المرضى بواسطة اناسٍ ينوّمونهم ويستخبرونهم عن حقيقة امراضهم والادوية الشافية لها ويخصصون مشاهد للعامّة ينوّمون فيها اناساً أرصدوهم لهذه الغاية فينبئون بالمغيّبات ويشاهدون ما وراء الاجسام الكثيفة الى ما شاكل ذلك مما غلبت فيهِ الخزعبلات ووجد فيهِ المخرقون مجالاً واسعاً لسلب اموال الاغرار

وكانوا يتفننون في التنويم على عدة طرائق منها انهم كانوا يُجلسون المنوَّم على كرسي ويجلس الممغنِط على موضع ارفع منهُ قليلاً ووجههُ اليهِ وبينهما نحو ٣٠ سنتيمتراً . ثم يأخذ يدي المنوَّم بحيث تتلامس بواطن الاباهيم من الفريقين ويُحدّ نظرهُ اليهِ ولا يزال على ذلك الى ان يشعر بحدوث حرارة متساوية بين الاباهيم المتلامسة ثم ينزع يديهِ ويديرهما من حول يدي المنوَّم حتى يضعهما على كتفيهِ ويتركهما كذلك نحو دقيقة ثم يرسلهما ببطء مع رعشةٍ خفيفة على طول يديهِ الى اطراف الاصابع ويكرر ذلك خمس او ست دفعات . وبعد ذلك يضع يديهِ على رأسهِ ويتركهما حيناً ثم ينزلهما ويمرّ بهما امام وجههِ على مسافة ٣ او ٤ سنتيمترات حتى يبلغ الى مؤازاة اعلى البطن فيقف بهما هناك معتمداً على اصابعهِ ثم ينزل بهما ببطء على طول جسده الى القدمين . وربما مغنطوا بمجرَّد امرار اليدين من الرأس الى القدمين بدون ان يقفوا بهما على موضعٍ من الجسد ويعبرون عن هذا النوع بالمغنطة بالمجاري الكبرى

واذا ارادوا ايقاظ النائم يعيدون امرار اليدين على نحو فعلهم في المرة الاولى لكن يجاوزون بهما اطراف يديهِ ورجليهِ وهم في كل مرةٍ يُرعِشون

اصابعهم واخيراً يُمرّون ايديهم امام الوجه والصدر امراراً افقياً على بعد ٨ او ١٠ سنتيمترات من الرأس وهم يُدنون احدى اليدين من الاخرى ثم يبعدونهما فجأةً ويعيدون ذلك مراراً كانهم يبددون القوّة المغناطيسية الى الخارج . واحياناً يضع الممغنط اصابع يديهِ امام رأس النائم ومعدتهِ على بعد ٨ او ١٠ سنتيمترات ويتركهما كذلك مدة دقيقة او دقيقتين ثم يبعد احدى اليدين عن رأسهِ او معدتهِ ويقرّب الاخرى وبالخلاف على التعاقب وهو يسرع في حركتهِ مرةً ويبطئ اخرى وينفض يديهِ كما يفعل من ينفض سائلاً عن اطراف اصابعهِ . على انهُ لا ينام الا عددٌ قليل من الذين يراد تنويمهم وقلما يحدث النوم من اول مرةٍ بل لم يكن يتمّ في الغالب الا بعد ثماني او عشر مرات بيد أن النسآء على كل حال اكثر قبولاً لهُ من الرجال

غير ان هذه الطرائق كلها قد أُهملت اليوم واستُبدل منها طريقة الدكتور برّايد من اهل منشستر وهي ليست من المغناطيسية في شيء ولكن يحدث بها عين ما كان يُدّعَى حدوثهُ بالمغناطيسية الحيوانية . وذلك ان يعمد المنوّم الى جسمٍ لامع كنصاب مبضعٍ مثلاً يأخذهُ بين الابهام والسبابة والوسطى من اليد اليسرى ويجعلهُ امام عيني المنوَّم على مؤازاة وسط الجبهة وعلى بعد ٢٠ او ٤٠ سنتيمتراً ويأمرهُ بان يُحدّ بصرهُ الى ذلك الجسم ويحصر فكرهُ فيهِ فلا يمضي قليلٌ حتى يتثنج جفناهُ ثم يشعر فيهما باسترخآء وميل الى الانطباق . وحينئذٍ يُنزل المنوّم يدهُ الى مؤازاة العينين ويشير اليهما بالسبابة والوسطى بعد ان يمدّهما ويفرّجهما قليلاً فيسقط الجفنان وينطبقان انطباقاً اضطرارياً يصحبهُ نوعٌ من الاضطراب . وبعد

ان يأتي على ذلك نحو ١٥ ثانية يصير المنوَّم بحيث اذا رُفعت يداهُ او ساقاهُ برفق ابقاهما كذلك واذا كان التنويم ضعيفاً فردّهما يأمرهُ بصوت لطيف ان يبقيهما على ذلك الوضع . واذ ذاك لا يلبث النبض ان يسرع بشدة وبعد قليل تفقد الاعضاء مرونتها وتبقى ثابتةً على وضعٍ لا يتغير فيتحقق ان النوم قد استتبّ . ويُعرَف هذا النوع من التنويم بالهپنوتسم وكان اكتشافهُ سنة ١٨٤٣

ومن الذرائع المستعملة في ذلك احداث صوتٍ فجائي كالقرع على صنجٍ ونحوهِ او اظهار نورٍ ساطع كالنور الكهربائي أو اشعة الشمس منعكسةً عن سطح مرآة . وربما أُحدث النوم بمجرد الاذعان وذلك بان يؤمر العليل بان ينام ويكرَّر ذلك عليهِ مع التحتيم . ومتى حدث النوم اصبح النائم طوع ارادة المنوّم فلا يخالف لهُ امراً حتى لقد يأمرهُ باعمال يتمها بعد ان يستيقظ فيفعلها بالصورة التي امرهُ بها وفي الساعة التي عينها لهُ من غير ان يتذكر انهُ قد أُمر بها ولا يعلم السبب الذي لاجلهِ يفعلها . ويمكن ان يصيّرهُ في حالة الشلل او التشنج ويحملهُ على ضروبٍ مختلفة من الحركات والاعمال وهو في حال النوم وربما مثَّل لهُ منظورات او مسموعات او غيرها لا وجود لها في الخارج حتى انهُ قد يقنعهُ بتبدُّل هويَّتهِ فيتوهم في نفسهِ انهُ فلان او فلان ويكون في جميع ذلك منقاداً تمام الانقياد من غير ادنى توقف في الاذعان او تردد في الاعتقاد ولكنهُ اذا استيقظ لم يبقَ في محفوظهِ شيءٌ من كل ما مرّ بهِ على الاطلاق . ويمكن ان يُقنِع العليل في حال النوم اذا كان بهِ شللٌ مثلاً ان الشلل يزول منهُ بعد ان يستيقظ

وقد يقع ذلك بالفعل الا انهُ لا يطَّرد دائماً واكثر ما يصدق في المصابين بالهستيريا على انهُ قد علم ان التنويم كثيراً ما يكون سبباً في ظهور الهستيريا اذا كانت كامنة وفي اشتدادها اذا كانت موجودة

وقد بحث العلمآء في امر هذا التنويم بحثاً دقيقاً مستقصًى حتى صار من جملة المباحث العلمية في هذا العصر ووضعوا لهُ حدوداً ووصفوا اطوارهُ التي يتنقل فيها النائم من اول اعراض الذهول والجمود الى بطلان الحس في الاعضآء الظاهرة وطاعتها للمنوّم في كل ما يحملها عليهِ من الاوضاع والحركات الى تنبُّه القُوَى الباطنة لاجرآء اعمالها الغريبة وانقيادها لسلطان المنوّم على حدّ انقياد الاعضآء الظاهرة في الطور السابق . ولهم في كيفية حدوث ذلك واسبابهِ مذاهب شتى فلسفية وطبية لا يسعنا نقلها في هذا الموضع

وقد زعم بعضهم انهُ توصل الى امورٍ اغرب كثيراً مما سبق منها ما حكاهُ الدكتور لويس احد اطبآء مستشفى الرأفة بباريز من نتائج امتحاناتهِ في المستشفى المذكور ومعظم تلك الامتحانات يدور على استخدام المغناطيس المعدني والمعالجة عن بعد . فانهُ كان باستخدام المغناطيس المعدني يُحدِث على المرضى مفاعيل مختلفة اغربها زوال الشلل او الآلام العصبية او انتقالها من موضعٍ من الجسم الى غيرهِ مرضيّةً كانت او مُحدَثة بطريق الايهام . واما المعالجة عن بعد فذكر انهُ كان يُدني من المنوَّم قارورةً فيها نوعٌ من انواع الدوآء حتى بدون تنبيه العليل اليهِ فيحدث عنهُ الاثر الذي هو من خصائصهِ . مثال ذلك ان يدني منهُ قارورةً فيها شيءٌ من الاشربة

الكحلية او حُقّةً فيها شيءٌ من عِرق الذهب فان مجرّد دنوّ الاولى منهُ يغيبهُ في سكر ودنوّ الثانية يحملهُ على القيء وذلك من غير ان يذكر لهُ شيئاً عنهما بل من غير ان يكون لهُ سبيل ان يعلم بوجودهما معهُ لان الامر نفسهُ يقع وهما مخبوءتان في جيبهِ. واغرب من ذلك ما ذُكر عن غيرهِ من انهُ يؤثر في النائم تأثير الدوآء بدون ان يكون موجوداً في الحضرة اصلاً وذلك بمجرّد الايهام فيسقيهِ كاس ماءٍ وهو يوهمهُ انهُ يسقيهِ عرَقاً فيجد لذع طعم العرق ويأخذهُ السكر واذا قيل لهُ انهُ يشرب مقيئاً تقيأ للحال وهلمّ جرًّا. وربما فعل عكس ذلك فيسقيهِ دوآءً فعّالاً ويوهمهُ انهُ ماءٌ فلا يؤثر فيهِ شيئاً او أنهُ دوآءٌ آخر غير الذي سقاهُ فيفعل فعل ذلك الدوآء الآخر. واشهر الذين عُرفوا بمثل ذلك في هذه الايام رجلٌ من اهل باريز يقال لهُ المسيو دُرُوشآ فقد ذُكر عنهُ انهُ يحيل ارادة النائم الى ارادتهِ ويخيّل لهُ كل خيال يريدهُ ويجعلهُ يبصر الاشياء البعيدة ويستنطقهُ عن الحوادث الغابرة مما لم يكن النائم عارفاً بهِ قطّ. وهناك امرٌ اغرب من كل ما ذُكر وهو انهُ يتصرف في حسّ النائم فيجعلهُ تارةً لا يشعر بما يعرض عليهِ من لمسٍ او قرص او احراق وتارةً اذا أُشير اليهِ باشارة قرص عن مسافة بعيدة عن جسمهِ بضعة سنتيمترات يشعر كانهُ قد قُرِص حقيقةً ويتألم في اقرب موضع من جسمهِ الى تلك الاشارة. وربما وضع على جسم النائم شيئاً من نحو مخدّة او كتاب ثم ينخس ذلك الشيء بطرف دبوس مثلاً فيشعر في ذلك الموضع من جلدهِ بالنخسة عينها كانها وقعت عليهِ

اما حقيقة هذه الامور فمما يصعب الحكم فيهِ وهي ولا ريب مما

بعد تصديقهُ لاول وهلة بل الذي يغلب على الظن ان الامر لا يخلو من صنعة وشيءٍ من الايهام والتواطؤ ولكن اصحاب هـذه الصناعة مع عدم انكارهم حدوث مثل ذلك يقولون انهُ يمكن ان يُحتاط لتمييز الايهام من الحقيقة. بيد انهُ على كل حال لا يمكن قبول كل ما يشاهَد والتسليم بصحتهِ الا بعد التحرز الشديد ولا يستحيل ان يكون هناك شيءٌ من الحقيقة سيكشفهُ المستقبل اذ الطبيعة تشتمل على امورٍ جمّة لا تزال مجهولةً عنـدنا وكثيرٌ مما يسبق الى الذهن انهُ من المحاليّات قد تحقق فعلاً ولذلك لا ينبغي التسرع الى الانكار كما انهُ لا ينبغي الاستسلام الى التصديق والله اعلم

ادب الدارس

﴿ بعد المدارس ﴾

(تتمـة)

وليس من غرضي فيما ذكر ان اصرفكم عن الاشتغال بآداب العربية والتوفر على اتقان علومها وإحكام الجري على اسلوبها ولا سيما مع بعثة اللغة في هذا العصر وإقبال المتأدبين واهل العلم من كل اوب على اقتباس فنونها واحراز اعلاقها علماً بما لها من المزية التي انفردت بها عن سائر اللغات فضلا عن ان اتقان اللغة عند كل امة مقدَّم على جميع العلوم اذ هي القالب الذي تُسبَك فيهِ المعاني والمرآة التي تمثَّل فيها صور الخواطر فما كان ذلك القالب اجمل تكويناً وتلك المرآة اصفى مآءً جآءت المعاني ابدع والخواطر اظهر وأنصع. ولذلك كان اشتغالكم بها واحكامكم لعبارتها واسلوبها